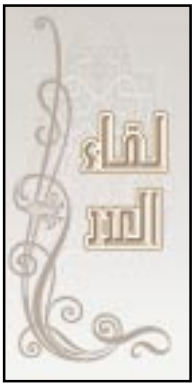لقاؤنا في هذا العدد مع قاضٍ جليل، حفظ القرآن الكريم في صغره وفقد بصره ولم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، وقصد الرياض لطلب العلم فكان شيخه الأول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ التحق بالمعهد العلمي وتخرج في كلية الشريعة عام ١٣٧٩هـ ثم عمل في القضاء. زرته في بيته في محافظة الزلفي ففتح قلبه قبل بابه وكان متواضعاً في لقائه. إنه فضيلة الشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن عبدالعزيز الغفيلي القاضي في محكمة التمييز بمكة سابقاً..

فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الغفيلي

كانت الخصومات في السابق تفصل في المسجد أو عند بيت القاضي

أجرى الحوار: محمد بن عبدالله المقرن

■ نود أن تحدثونا عن نشأتكم وبدايتكم في طلب العلم؟

ـ بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نشأت في الرس ودرست القرآن وأنا مبصر حتى وصلت إلى سورة التوبة عند مدرس يدعى (عبد الله العبد الرحمن الدحيم) وأصبت بوجع في عيني.. هذا الوجع قد أصاب طائفة من الأطفال في البلد وبقيت شهرين أعاني من الوجع في عيني حتى ذهب بصري كان سني حينذاك اثنتا عشرة سنة ثم التحقت لدراسة القرآن عن ظهر غيب عند شخص يدعى (ناصر السالم الضويان) حتى وصلت إلى سورة التوبة إبتداء من المعوذتين فتوفي ـ رحمه الله ـ وأكملت حفظ القرآن على شخص يدعى (محمد بن إبراهيم الضويان) ثم درست الفرائض الرحبيه والآجرومية على الشيخ محمد العبد العزيز الرشيد قاضي الرس لمدة حوالي شهرين ثم انتقلت إلى الرياض ودرست على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ العقيدة الواسطية وكتاب التوحيد وقطر الندى كما درست الفرائض الرحبية وزاد المستقنع على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله .

واستمريت في الدراسة ضمن الطلاب حتى فتح (المعهد العلمي) والتحقت به وتخرجت في كلية الشريعة عام ١٣٧٩هـ ومن معلمينا في الكلية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ والشيخ عبد العزيز بن رشيد ـ رحمه الله ـ والشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ وغيرهم من

المعلمين ... ثم التحقت بالقضاء

■ لا بد أنكم تأثرتم بمنهج أحد مشايخكم الذين أخذتم عنهم في بداية طلبكم للعلم من أبرز مشايخكم..؟ وماذا استفدتم منه؟

ـ أبرز مشايخنا هو سماحة الشيخ محمدبن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ كان لنا ولطلبة العلم محل والد ومربٍ وعالم نقتدي به في خلقه وتعليمه ومحافظته علىٰ الدين والوفاء وفعل الخيروالتوجيه السليم لطلبة العمل ولين الجانب والتعاون مع طلبة العلم فيما يحتاجون إليه من أمور العلم والدنيا والمساعدة فيما يحتاجون إليه ـ رحمه الله ـ وجزاه الله عنا وعن طلبة العلم والمسلمين أحسن الجزاء وغفر له وأسكنه فسيح جناته

■ ما الأعمال التي ما رستموها وعملتهم بها خلال رحلتكم وحياتكم الطيبة في مجال القضاء؟

ـ لم أمارس عملاً غير القضاء إلا مجالسة أهل الخير والقراءة في بعض الأحيان في كتب العلم والتعاون مع المحافظين ورجال الحسبة على ما يعود على المواطن بخير.

■ عشتم فترة صعبة فيها شظف العيش وصعوبة الحياة هل لكم أن تحدثونا عن تلك الفترة ومقارنتها بالحياة الآن؟

ـ عشت عند والدي في سن الطفولة وكان والدي صاحب ثروة ثم انتقلت إلى الرياض في سن المراهقة وبدأت في الدراسة لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وفضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، وقد أجرى لنا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مرتباً شهرياً وأرزاقاً من المالية تمر ورز ودراهم أمنت معيشتنا حتى التحقنا بالمعهد العلمي وصار لنا مكافأة شهرية تكفينا في النفقة حتى تخرجت في كلية الشريعة فأصبحت قاضياً فصار لي مرتب شهري كاف لنفقتي ونفقة أولادي ولا أزال في خير ونعم من الله ثم من حكومتنا الرشيدة ولم أر في حياتي ـ والحمد لله ـ بأساً في المعيشة حتى الآن.

وقد وجد في ذلك الوقت ضيق المعيشة على بعض الناس إلا أن هذا لم يستمر طويلاً ـ والحمد لله ـ فبعد أن اكتشفت الدولة البترول تحسنت معيشة المواطنين واستمروا على حالة جيدة من المعيشة حتى الآن.

نسأل الله أن يرزقنا والمسلمين شكر نعمه ولا يغير علينا ولا على المسلمين إنه جواد كريم.

من مشايخي : سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وعبداللطيف ابن إبراهيم وعبدالعزيز بن باز وعبدالرزاق عفيفي

■ عاصرتم مراحل مختلفة في سلك القضاء في المملكة.. فما أبرز ملامح الاختلاف بين الوقت السابق والحالي؟

ـ أبرز الخلاف بين الوقت السابق والحالي أن الوقت السابق كان أقل مشاكل وخصومات. والأخصام في الغالب يطالبون بأنفسهم ويكتفون في الغالب بالأحكام الصادرة، أما الآن فكثرت القضايا نظرً لكثرة السكان واتساع الناس مادياً... وكثرة الشركات وتوكيل بعض المخاصمين وكلاء لإقامة الدعاوى مما عقد القضايا وزاد في عددها وأكثر جلساتها وأطال إنهاءها نظراً لأن بعض الوكلاء يطلبون تأجيل القضايا للبحث عن زيادة بينات مما

يؤخر القضايا إلى وقت أطول.

■ من خلال تجربتكم الطويلة في القضاء... ما المنطلقات التي ينبغي التأكيد عليها وحث القضاة على الاعتناء بها؟

ـ الذي أراه أن على القاضي أن يتثبت ويستقصي في القضية سواء أكانت القضية جنائية أو حقوقية وإذا أشكل عليه شيء في بعض القضايا المعقدة ـ فالذي أراه ـ أن يستشير بعض زملائه من القضاة في حلها حيث أنه يوجد بعض القضايا فيها تعقيدات وتحتاج إلى استشارة بعض القضاة

■ القضاء في المملكة العربية السعودية مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية السمحة.. فما أبرز سمات هذا التميز؟

ـ أبرز سمات هذا التميز بتحكيم الشريعة الإسلامية هو أن سكان المملكة منسجمون انسجاماً إسلامياً مع بعضهم ومع حكومتهم الرشيدة حيث أنهم يحكم بينهم بالشرع المحمدي وهذا الحكم رزق سكان المملكة الطمأنينة والرضا بالأحكام والمودة بين السكان وبينهم وبين ولاة الأمور.. حيث إن الحكم بالشريعة يرضي المسلمين ويرزقهم الطمأنينة وإحقاق الحق لأهله، وهذه الميزة من الطمأنينة والأمان والرضا في هذه البلاد سببه تحكيم الشريعة وهذا الشيء لا يوجد في بلاد أخرى غير هذه البلاد، وقد أخبر الله سبحانه في سورة المائدة قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ،وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

كان الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - الوالد والمربي والعالم

وقد أقسم الله سبحانه في سورة النساء: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

والحكم بالشريعة الإسلامية من أكبر نعم الله على بلادنا حكومة وشعباً. حيث لا يوجد العدل والطمأنينة والهدوء والأمان في أي بلاد من بلاد العالم بمثل الذي يوجد بهذه البلاد وهذا نعمة من الله.

■ كيف كانت تفصل الخصومات في ذلك الوقت؟ وما مدى رضا وقناعة الخصوم بالحكم الشرعي؟

ـ كانت الخصومات تفصل لدى القاضي إما في المسجد أو عند باب بيته حيث لا يوجد محاكم في ذلك الوقت مبنية، وكان في ذلك الوقت الأخصام يقتنعون بما يحكم القاضي وأحياناً بدون كتابة.. هكذا كان المواطنون في الفترة القديمة إلا أننا منذ تولينا العمل في عام ١٣٨٠هـ كان عمل القضاة في محاكم مبنية وما ذكرت عن وضع الناس كنت أعرفه في سن الطفولة.

تخرجت في كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٩هـ

■ ما أبرز المواقف القضائية التي لا زلت تتذكرها؟

ـ أبرز القضايا التي لا أزال أتذكرها عدة قضايا سأذكر لكم شيئاً منها:

لما كنت في محكمة التمييز

وأنا عملي في الجنائيات عرض عليّ معاملة تشتمل على دعوى ضد شاب في قضية أخلاقية محكوم عليه بالجلد حداً إلا أن هذا الشاب مصاب بمرض فقد المناعة ولا يتحمل الجلد المتبع في الشرع.

فأجبت عليه بأنه يجب مراعاة ظروفه الصحية بحيث أن هذا المرض (فقد المناعة) لا يشفى منه المصاب فعليهم أن يجلدوه جلداً خفيفاً يتناسب مع مقدار صحته وتحمله.

■ ما الأعمال التي شاركتم فيها إلى جانب عملكم في القضاء؟

ـ لم أشارك في عمل غير القضاء إلا أنني في آخر عملي في القضاء ترقيت إلى محكمة التمييز في مكة المكرمة وبقيت في محكمة التمييز حتى تقاعدت حسب النظام في شهر ٧/ ١٤١٥هـ.

■ ما أهم المحطات التي تتوقفون عندها في حياتكم؟

ـ لا يوجد محطات نتوقف عندها في حياتنا حيث أننا نعيش والمواطنون والحمد لله في أمان ورزق من الله وتحت قيادة وعدل حكومتنا الرشيدة، ونفكر في مستقبل المسلمين ومشاكلهم الدينية، وما يقع على بعض المسلمين في بعض البلدان غير المسلمة من الضغوط والعدوان وهذا الشيء يهم كل المسلمين... ونسأل الله العلي القدير أن يعز الإسلام في كل زمان ومكان وأن يوفقهم للقيادات الرشيدة الحكيمة التي تأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم

■ ما الفرق بين القضايا في السابق الوقت الحالي؟

ـ الفرق بين القضايا في السابق والحاضر أن القضايا السابقة أقل عدداً وأكثرها قضايا حقوقية، أما الآن فالقضايا أكثر وأكثر تعقيداً في بعض القضايا.. كما أن القضايا الجنائية والأخلاقيات كالسكر وارتكاب الفواحش أكثر في الوقت الحاضر.

■ ما الصفات التي يجب أن يتحلى بها القضاة أمام الخصوم والمجتمع؟ وما توجيهاتكم للقضاة؟

ـ يجب على القضاة أن يتحلّوا بإتباع السنّة المطهرة والمحافظة على الواجبات الإسلامية وأن يكونوا قدوة في البلد بفعل الخيرات وأن يعاملوا الناس ـ وخصوصاً الأخصام ـ بالهدوء والطمأنينة وعدم الاستعجال في الأحكام إلا بعد التروي والاستقصاء وعدم مؤاخذة الجهال إذا أساءوا الأدب مع القضاة تمشياً مع قوله ـ تعالى ـ في صفة المؤمنين.

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) كما أوصي إخواننا القضاة بنظر القضايا والإمعان فيها والتثبت وتحري العدل وأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله وابتغاء مرضاته.

■ هل ينتهي التحصيل العلمي للقاضي بالتقاعد؟ وكيف يقضي فضيلتكم ساعات اليوم؟

ـ لا ينتهي التحصيل العلمي بتقاعد القاضي حيث أن القاضي عندما يتقاعد يطالع كتب العلم ويتوسع فيها أكثر من بحثه عندما كان في القضاء حيث إنه وهو في

على القاضي أن يتثبت ويستقصي عن القضية ويستشير زملاءه من القضاة

مجلة العدل مجلس علمي يفيد القضاة وينير طريقهم

القضاء يبحث عن العلوم الشرعية التي تتعلق بالقضايا، أما بعد التقاعد فيتوسع في البحث في العلوم الشرعية في الأحكام وفي الصلاة والزكاة والصوم والحج التوحيد والسيرة النبوية وغير ذلك من كتب العلم. أما أنا فبعد تقاعدي أقضي بعض وقتي بالإجابة على الهاتف على استفتاء بعض المواطنين والمواطنات ومطالعة بعض الكتب العلمية في بعض الأحيان وقراءة بعض المجلات والصحف المفيدة وتربية الأولاد.

■ مجلة العدل مطبوعة جديدة أضافتها وزارة العدل للمكتبة العلمية فما تقويمكم لإصدارها؟

ـ تقويمنا لإصدار هذه المجلة... أن هذه المجلة قضائية ويستفيد منها كل القضاة حيث إن كل عدد يشتمل على توجيهات للقضاة وإبداء بعض الخبرات التي مرت على القضاة السابقين مما يفيد القضاة وهي عبارة عن مجلس علمي يفيد القضاة وينور طريقهم في حل المشاكل على الوجه الشرعي السليم وفق الله وزير العدل ووفقكم جميعاً وسدد خطاكم على إصدار هذه المجلة النافعة إن شاء الله.

■ نريد منكم حديثاً عن ما تذكرون من مواقف وقصص عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

ـ من مواقف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ أن حياته كلها عمل ديني: تعليم في المسجد وفي بيته لطلبة العلم في الصباح والضحى وبعد العصر وجلسات معهم بعد المغرب في بيته لهم وللمسلمين والمراجعين وبعد صلاة الجمعة في بيته، فكل أوقاته ـ رحمه الله ـ في خدمة العلم والإسلام وتعليم طلبة العلم وتربيتهم على الإسلام والأخلاق الحميدة والعناية بطلبة العلم في مساكنهم ومعيشتهم وخدمة المسلمين في المملكة وخارجها في الفتاوى وغيرها والتعاون التام مع الدولة ـ حفظها الله ـ في كل مجال في الإفتاء والنصائح وتعيين القضاة وأشياء أخرى تتعلق بأمور الدين والعلم وكان ـ رحمه الله ـ والداً مربياً معلماً لطلبة العلم طوال حياته، ثم زاد عمله الرسمي حينما أسست رئاسة القضاء وصار يعمل فيها، كذلك عندما أسست دار الإفتاء وصار يعمل فيها أيضاً، فأصبح كل وقته مشغولاً في العمل القضائي والإفتاء كما أنيطت به المعاهد العلمية فصار مشرفاً عليها وعلى الكليات أما مواقفه مع القضاة فكان يدافع عنهم في حالة التعدي عليهم من قبل بعض الا خصام المشاغبين عندما يرفعون بأحد القضاة شكاية إلى الدولة فتحيله الدولة إلى سماحته فيستفسر من القاضي ويتبنى إجابته. ويرفعها إلى الدولة بعدما يثبت لديه أن المشتكي مشاغب من أجل بعض الخصومات التي لم تكن بصالحه. ويلبي طلبات القضاة عندما يطلب القاضي نقله إلى بلد آخر يتجاوب معه فينقله إلى البلد الذي يرى النقل إليه رأفة به (رحمه الله وأسكنه جنات النعيم)

■ هل من إضافات تودون الحديث عنها؟

ـ إضافتي قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرّ وَالتَّقْوَىَ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وِالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] الآية وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة قالها ثلاثاً قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وإكمال إضافتي أن هذه المجلة مفيدة ونبراس للقضاة يستفيدون منها كل عدد ما دامت مستمرة على وضعها الحالي. وفقكم الله وأعانكم على البر والتقوى.